حكايات نحبها جميعاً

٩

إنك كافرٌ و أنا مسلمة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

من أَهمِّ أَحْداثِ
السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرَةِ

فِي نَدْوةٍ تِلفزْيُونيَّةٍ.. وَفِي شَهرِ رَمَضَان المُبارَك تحدَّثَ المُجْتَمِعونَ عَن أَهَمِّ حَدَثٍ من أَحْداثِ السَّنةِ الثَّامِنَةِ للهجرَةِ ، وَهوَ فَتْحُ مكَّةَ المُكرَّمَة..

وَالذي لفَتَ انتباهَ (نَاهِد) من ذَاكَ الحَدِيثِ تِلكَ الخطْبَةُ العَصْمَاءُ التي خَطَبهَا رَسولُ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ.. وَمَا كَانَ لهَا من أَثَرٍ فِي نُفُوسِ أَهلِ قُرَيشٍ ، حَيثُ دَخَل غالبيَّتُهم في الدِّينِ الإسْلامِيِّ.

وَممَّا سجَّلتهُ (نَاهدٌ) مِن أَقوالِ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكُمُ المَوقِفِ العَصيبِ: «لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَريكَ لهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، ونَصَرَ عَبدَهُ ، وهَزمَ الأَحزَابَ وَحدَهُ ، ألا كُلّ مَأْثَرةٍ أَو دَمٍ أَو مَالٍ يُدعَىٰ فَهوَ تَحتَ قَدميَّ هَاتَينِ ، إلاَّ سَدانةَ البَيْتِ وَسقَايَة الحَاجِّ ، أَلا وَقَتِيل الخَطأ شِبْهِ العَمْدِ بالسَّوطِ والعَصَا فَفِيهِ الدِّيةُ مغلَّظةً ، مِئةً من الإبلِ أَربعونَ مِنهَا في بُطونِهَا أَولادُهَا ، يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ! إنَّ اللهَ قَدْ أَذهبَ عَنكُم نَخْوَةَ الجاهِلِيَّةِ وتَعظُمهَا بالآباءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَم وآدمُ مِنْ تُرابٍ.. ثُمَّ تَلا قَولَ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] إلى أَنْ قَالَ لِلنَّاسِ: «مَا تقُولونَ ـ أَو مَا تَظنُّونَ ـ أَنِّي فَاعِلٌ بكُمْ؟».

قَالُوا: خَيْراً ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وابنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

فقالَ: أقولُ كما قالَ أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] «اذهَبُوا فَأنتُمُ الطُّلَقَاءُ».

فَقَالَ الأُستاذُ (نَاجِي) مُعلِّقاً علىٰ ذَلِكَ: وَكَانَ للعَفوِ النّبويِّ.. ولإظهارِ المُسَاواةِ بينَ الأَغنياءِ والفُقَراءِ ، حَيثُ أَمرَ العَبدَ الحَبَشيَّ بلالاً بِأَنْ يَصعدَ عَلىٰ ظَهرِ الكَعْبَةِ وَيعلي صَوتَهُ بالأَذَانِ!

كَانَ لِذَلِكَ دَورٌ كَبِيرٌ فِي دُخُولِ كِبَارِ صَنَادِيدِ قُرَيشٍ في الإسْلامِ.. مَعَ جَمْعٍ كَبيرٍ أَيضاً.. مِنهُم أَبو سُفيان وَفضَالةُ بن عُمَير ، وَأسَيْدُ بن أَبـي إيَـاسٍ ، وَعُتْبَـةُ ومعتَّـبُ ابنـا أَبـي لَهَـبٍ ، وحُوَيطِبُ بن عبدِ العزَّى ، وصَفوانُ بن أميَّة ، وعِكْرِمةُ بن أَبي جَهلٍ.. رَضيَ اللهُ عنِ الجَمِيعِ.

فوَقَفَتْ (نَاهدٌ) وَقالتْ: وَلكِنْ يَا وَالدِي لِمَاذَا لَمْ تَذْكُروا اسمَ امْرَأةٍ أَسْلَمَتْ يَومَ فَتْحِ مَكَّة؟ وَلمَاذا تَذْكُرونَ أَسْماءَ الرِّجالِ فَقَطْ؟!

فَابتَسَم وَالدُها وَقَالَ: مَعك الحَقُّ يا بُنيَّة، ولكنِّي لاَ أذكُرُ اسمَ وَاحِدةٍ منَ اللَّاتِي دَخَلنَ فِي الإسْلاَمِ وَقتَ فَتْحِ مَكَّة.. وَلَعَلَّ هَذِهِ إحدَىٰ مَهَامِّكِ، وَأسأَلُ اللهَ لَكِ التَّوفيقَ في البَحْثِ عن حِكَاياتِ وَتَراجِم الصَّحابيَّاتِ و..

البَحْثُ المُمْتِعُ

فِي المُجلَّداتِ وَالمَراجِعِ!!

وَفِي صَبيحَةِ اليَومِ الثَّاني انطَلَقَتْ (ناهدٌ) إلىٰ المَكْتَبةِ التَّارِيخيَّةِ، ورَاحتْ تَبْحَثُ في كُتُبِ

التَّراجمِ والسِّيرةِ عَن أَسماءِ نِسَاءٍ أسْلمنَ في فَتْحِ مكَّةَ ، وبعدَ أن طَالَتْ فتْرَةُ البَحْثِ والتَّفْتِيشِ وَجَدتِ المَطْلوبَ.. ، لقَد وَجَدتِ اسمَ وَاحدةٍ من الصَّحابيَّاتِ ، يُقالُ لهَا (أُمُّ حَكيم بِنت الحَارِث)..

فَرَاحَتْ تَجمعُ المَعلومَاتِ عنهَا.. فَكَانَ هَذا المُلخَّصُ المُفيدُ:

بَقِيتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) مَعَ والدهَا (الحَارِث) ، وَوَالدتهَا (فَاطِمَة بنت الوَلِيد) ، وزَوجِها (عِكْرَمة بن أَبي جَهْلٍ) أَكثرَ من عِشْرينَ عَاماً وَهُم يُحَارِبونَ المُسْلِمينَ!!

وَلمَّا شَاءَ اللهُ لهُم الهِدَايةَ ، وَكَانَتْ أحداثُ فَتْحِ مَكَّةَ المكرَّمةِ.. أَعلنَ هؤلاءِ جَميعاً الدُّخُوْلَ فِي الإسْلامِ.

وَالدتُها (فَاطِمَةُ بنت الوَليد) ، أُخْت خَالِد بن

الـوَليـدِ ، أسلمَـتْ يَـوم فَتْـح مَكَّـةَ.. وَوالِـدُهَـا (الحَارِث بن هِشَام) ، أخو أَبِي جَهْلٍ ، كَانَ سَيِّداً شَرِيفاً ، لكنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ إلاَّ وقْتَ فَتحِ مَكَّةَ..

وَأمَّا زوجُها (عِكْرِمَة بن أَبي جَهْلٍ) ، فَكانَ شَاباً مِغْواراً ، قَاتلَ المُسْلِمينَ في عَددٍ كَبيرٍ من الغَزَواتِ والمواقِعِ ، حَتَّى إنَّ النَّبيَّ صَلواتُ اللهِ عليهِ أَهدرَ دَمَهُ!!

تَحَوُّلٌ عَجِيبٌ!!!

وَلمَّا أَعلنَتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) دُخُولهَا فِي الإسْلامِ.. اقْتربَتْ منَ الرَّسولِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، وطَلبتْ مِنهُ الأَمانَ لِزوجِهَا ، فَأعطَاهَا الأَمانَ..

فانطَلقتْ إلىٰ (عِكْرِمَةَ) تَبحثُ عَنهُ ، فلمَّا وَجَدتهُ قَالتْ: لَقَدْ جِئْتُكَ مِن عِندِ أَوصَلِ النَّاسِ ،

وَأَبرِّ النَّاسِ ، وَخَيرِ النَّاسِ ، وَقَد استأمنتُ لكَ فَأَمَّنَكَ..

فَرَجعَ (عِكْرمَةُ) مَعَها.. وَوقَفَ بينَ يَدَيّ النَّبيِّ صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، وَأعلن إسلامَهُ..

وَقُبيلَ إسلامِهِ ، طَلبَ (عِكْرِمَةُ) مِنهَا أَن يُجَامِعَها ، فَأَبتْ وَقالتْ: إنَّكَ كَافِرٌ.. وَأَنَا مُسْلِمَةٌ!!

وَسَأَلَ (عِكْرِمةُ) الرَّسولَ ﷺ أَن يَسْتَغفِرَ اللهَ لهُ...

فَرَفَعَ الرَّسولُ كَفَّيْهِ وَقالَ: «اللَّهمَّ اغْفِرْ لهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادانِيهَا أَو مَرْكَبٍ أَوْضَعَ فيهِ يُريدُ أَن يصدَّ عَن سَبِيلكَ».

فَفَرحَ عِكْرِمَةُ فَرحاً كَبِيراً ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا واللهِ يَا رسولَ اللهِ ، لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنتُ أَنْفَقْتُها في الصَّدِّ عن سَبِيلِ اللهِ ، إلاَّ أَنفقْتُ ضِعْفهَا فِي سَبيلِ اللهِ ،

ولاَ قَاتَلْتُ قِتَالاً في الصَّدِّ عن سَبيلِ اللهِ إلاَّ أبليتُ ضِعْفَهُ في سَبيلِ اللهِ.

أَجلْ!

فِي غَزْوَةِ أُحُد خَرجَ الحَارِثُ وزوجهُ فَاطِمَةُ ، وَعِكْرمَةُ وزوجهُ أُمُّ حَكيم ، وَخالِدُ بن الوَليدِ ، فَقَاتلُوا المُسْلِمينَ قِتَالاً عَنِيفاً..

وَلمَّا شَاءَ اللهُ لَهمُ الهِدَايةَ انقَلبُوا رَأْساً عَلىٰ عَقبٍ.. وإلاَّ كَيفَ صَمَدَ أولئكُمُ الأَبطالُ فِي المَواقِفِ التي وَقَفُوا فِيهَا مَعَ المُسْلِمينَ ، كَمَا في اليَرْمُوكِ مَثَلاً؟!

ليسَ إلاَّ الإيمانُ بِاللهِ ، والتَّصْديقُ بكُلِّ ما نزَلَ علىٰ قَلبِ الرَّسولِ ﷺ.

فَلو كانَ النِّساءُ كَمثلِ هَذِي!!

وَأثناءَ جَمْع (نَاهِد) المَعلومَاتِ عَن السَّيدةِ

(أُمِّ حَكيمٍ) تَمْتَمتْ بِمَا تحفَظُهُ من الشِّعرِ ، وَمِنهُ:

فَلوْ كَانَ النِّساءُ كَمثلِ هَذِي

لفُضِّلتِ النِّساءُ علىٰ الرِّجَالِ

فَمَا التَّأنيثُ لاسمِ الشَّمسِ عَيْبٌ

وَمَا التَّذكِيرُ فَخْرٌ لِلهِلالِ

أَجَلْ!

إنَّها التي أَسْلَمَتْ أولاً.. وَهِي التي أَمَّنتْ زَوجَهَا كَي يَدْخُلَ في الدِّينِ الجدِيدِ ، وَهيَ التي شَجَّعتْ عَلىٰ القُدُومِ نَحو الحُروبِ.. وَنَحو ذَلكَ.. فَأَنْعِمْ وَأَكرِمْ من قَانُونٍ إلهيٍّ لاَ يفضِّلُ أَحداً عَلىٰ أَحدٍ إلاَّ بِمَا يقدِّمهُ المَرءُ من إيمَانٍ وَعَملٍ صَالحٍ!!

وَذَلكَ كَمَا فِي قَولِ اللهِ تَعالَىٰ وَهوَ يَتحدَّثُ عنِ القُدْوةِ والأُسْوةِ لِلمؤمنينَ ، سَواءً كَانُوا رِجَالاً أم نِسَاءً:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

[التحريم: ١١ - ١٢] .

فَلَيْستِ الذُّكُورَةُ هيَ التي تُفيدُ أَبَداً ، وَليستِ الأُنوثَةُ هيَ الضَّارَّةَ أَبداً ، إنَّما مَاذا أَفادتِ الذُّكُورَةُ فِرعَونَ.. وَهوَ صَاحِبُ المَنْصِبِ العَظِيمِ.. والمَالِ الوَفِيرِ.. و.. مَعَ ذَلكَ كَانَ مِثَالاً للسُّوءِ وَالخذْلاَنِ..!

وَكَذَلِكَ قَارونُ وَبَلْعام وَأبُو جَهْلٍ وَأَبو لَهَبٍ ، وكلُّ من سَارَ عَلىٰ دَرْبِ الغَوايةِ إلى يَومِ الدِّينِ..

أَمَّا الإناثُ المُؤْمِناتُ.. أَمثَالُ زَوجَةِ فِرْعَون.. وَمَرْيَم بنت عِمْرانَ.. وَزَوجَاتِ رَسولِ اللهِ ﷺ

وَبَناتِهِ ، وزَوجَاتِ الصَّحَابةِ والتَّابعينَ ، وَمن سَارَ عَلىٰ دَربِ الهِدَايةِ إلىٰ يَومِ الدِّينِ ، هَلْ فاتهنَّ منَ الأَجرِ والفَضْلِ شيءٌ لأنَّهنَّ إناثٌ؟!

أَبدَاً ، فَالمِيزَانُ هوَ الإيمانُ والعَملُ الصَّالحُ ، سَواءً كَانَ الذي قَامَ بهِ عَبْدٌ أَم سيِّدٌ ، غَنيٌّ أمْ فَقِيرٌ ، رَجُلٌ أَم امرَأةٌ.. وَهَكَذا..

وَفِي مَعْرَكَةِ اليرْمُوكِ!!

وَسَارتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) مَعَ زَوجِهَا (عِكْرِمَة) إلىٰ الشَّامِ لغزوِ الرُّومانِ ، وَفِي مَعرَكةِ اليرْمُوكِ قَاتَلتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) قِتَالاً شَدِيداً.

وَشَاءَ اللهُ تَعَالىٰ أن يَكُونَ (عِكرمَة) من شُهَداءِ اليرمُوكِ.. فحَزِنَتْ عَليهِ.. ثُمَّ اعتدَّتْ أَربعةَ أَشهرٍ وَعَشْراً..

وَبعدَ فَتْرَةٍ منَ الزَّمنِ تَزوَّجَها (خَالِدُ بنُ

سَعيد بن العَاصِ) وَفي لَيالِي الزَّفَافِ الأُولىٰ كَانتْ وَقْعةُ (مَرج الصّفرِ) جَنُوبيِّ دِمَشقَ.. وَشَاءَ اللهُ تَعالَىٰ أَن يكونَ العَرِيسُ شَهيداً فِي تِلكُمُ الوَقْعَةِ..

وَأمَّا هيَ (أُمُّ حَكيم) فَقَدْ حَمَلتْ عَمُودَ خِبائِهَا وَهَجمَتْ بهِ علىٰ الرُّومِ ، فَقَتلتْ بهِ سَبْعةً مِنهُم!!

فَرَضِيَ اللهُ عنهَا وَأَرضَاهَا.. وَجَعلَها قُدْوَةً وَأُسوةً للرِّجالِ المُسْلمينَ والنِّساءِ المُسْلِماتِ..

وَإلىٰ دَارِ الخُلدِ وَالنَّعِيمِ

وَبعدَ فَتْرةٍ وَجِيزةٍ تزوَّجهَا الفَاروقُ عُمَر رَضِيَ اللهُ عنهُ ، فَولدتْ لهُ (فَاطِمَة) لكنَّ القَضَاءَ وَالقَدَر عَاجَلَ مَنيّتَها ، فَتُوفِّيتْ سَنَة (١٤هـ)..

وَأَسْرعَتْ (نَاهدٌ) باتِّجاهِ البَيتِ ، تُريدُ أَن تُبلغَ والدهَا الأُستاذَ (نَاجِي) بِمَا وَجَدَتْ ، وَذلكَ

مِن أَجلِ إقامَةِ الحجَّةِ عَلىٰ الذينَ يَقولونَ إنَّ المرأَةَ لا تَصلح إلاَّ للمَطْبخ وَنَحو ذَلِكَ!

إنَّما الإسْلاَمُ هَوَ الذي جَعَلَ المَرأَةَ تُمارِسُ حُقُوقَهَا ، وتَعمل أيّ عَمَلٍ يناسبُها ضِمنَ شُروطٍ عَدِيدةٍ ، مِنهَا: البُعدُ عَنْ كلِّ مَا يَجرَحُ كَرامَتَها و..

وَفِي البَيْتِ ، فَتحَتْ (نَاهدٌ) مِحْفَظَةَ أَوراقِهَا.. وَرَاحَتْ تَقرأُ لأفْرادِ أُسْرَتِهَا بَعْضاً مِن تَرجَمَةِ حَياةِ السَّيِّدةِ (أُمّ حَكيم بنت الحَارِثِ).. ، ثُمَّ وَعَدَتْهُم بِأَن تُثَابِرَ علىٰ البَحْثِ وَكِتَابةِ المَزِيدِ من تَراجِمِ أَمثالِ هَذهِ المَرأَة الفَاضِلة.

وآخرُ دَعوانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ